العثمانية ، ففي صفحة ٢٥ مثلا يقول ان توطين هذه الجماعات هي « ظاهرة تاريخية قامت بها الدولة العثمانية لتجعل من ليبيا وطنا قوميا لبعض الجماعات المسلمة التي كانت تضمها الامبراطورية العثمانية ، وان اختلفت ظروف كل منها » . ولا ريب ان عبارة (وطن قومي) لم ترد في ذهن احد آنذاك .

ويعقد المؤلف بحثا تاريخيا في الفصل الثاني (اليهود في ليبيا) عن اصل وجود اليهود منذ عهد البطالسة مستعرضا الوان حياتهم الاجتماعية والسياسية متجاوزا فترته التاريخية (زمن البعثة) واصلا الى ايام الاستعمار الايطالي وما بعده . ويعتمد في كثير من جوانب هذا الفصل على ما جاء في تقرير الدكتور ناحوم شلوش مرافق بعثة الاستيطان ، مع ان غايته واضحة : هي ايجاد المرتكز التاريخي للوطن الذي يريد اليهود تحقيقه . وعلى الرغم من انتباه المؤلف الى ذلك ، فان رده لها يعتمد التعليق الخاطف السريع ، وقد يعرض رأيين فيهما شيء من التضارب دون ان يرجح احدهما ، كما هو الحال في صفحة ٣٣ حين يعرض اسباب ما لحق ببرقة من خراب ، فيذكر رأي (الن ويس) استاذ الآثار القديمة بجامعة كمبردج الذي يرى ان سبب الدمار ما ارتكبه اليهود في ثورتهم ايام الرومان من فظائع ، ويذكر رأي شلوش الذي يعيد الخراب ، الى الرومان الذين (قاموا بتخريب البلاد وحولوها الى صحراء) . ولكن اهمية هذا الفصل تكمن في اعطاء صورة واضحة من الحياة التي كان يحياها اليهود في البلاد العربية حيث نعموا برخاء لم توفره لهم البلاد الاخرى .

في الفصل الثالث (توطين اليهود في ليبيا) يحدثنا المؤلف عن عطف الدولة العثمانية على اليهود منذ نهاية الحكم العربي في الاندلس ، وهذا العطف أطمعهم فطلبوا وطنا قوميا في فلسطين ايام عبد الحميد ، فرفض طلبهم . فاشترك رجالهم في التخلص من عبد الحميد . ثم وافقت الدولة العثمانية امام الضغوط على فكرة اسكان اليهود في بعض المناطق سوى فلسطين . واذا كان من ملاحظة على هذا الفصل ، فهي بعض التشويش والانتقال غير المنظم من العثمانيين الى الفاطميين .. الى الملك فؤاد ... كذلك فالمؤلف لم يقدم لنا بوضوح الاسباب التي كانت وراء قبول العثمانيين فكرة التوطين في ليبيا ، ولا أظن ان حاكم طرابلس (رجب باشا) كان « يخفي نواياه في مساعدة اليهود .. » كما قال المؤلف . لقد كانت وجهة نظر رجب باشا تقدم مصلحة الدولة العثمانية على كل شيء . فوجد ان الاتيان باليهود يحد من اطماع ايطاليا التي باتت تتربص بليبيا الدوائر .

لقد استغرقت الفصول الثلاثة الاول خمسا وخمسين صفحة قبل ان ينتقل المؤلف الى موضوعه الاساسي : تقرير البعثة الصهيونية . لذا كان الاجدى ان يعرفنا في هذه الفصول عن الظروف التي أدت بفئة من داخل الحركة الصهيونية بعد المؤتمر الصهيوني السابع في بال ١٩٠٥ (وهو المؤتمر الذي عقد بعد موت هرزل ، والذي قرر التخلي عن فكرة استعمار اوغندا البريطانية والعودة الى البرنامج الاولي الذي حدد فلسطين هدفا للاستيطان الاستعماري الصهيوني) الى الانشقاق بقيادة زانجويل ، وانشائها المنظمة الاقليمية التي كان هدفها التفتيش عن اقاليم لاستيطان اليهود في اي جزء ملائم من العالم . وذلك لان صلة هذه الدراسة بموضوع الكتاب اوثق من توطين بعض الجماعات العثمانية في ليبيا ، في تاريخ اليهود في ليبيا القديمة .

يبدأ الفصل الرابع (البعثة اليهودية الى برقة يوليو — اغسطس ١٩٠٨) وهو محور الدراسة ، عن اوضاع اليهود في ليبيا في اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين في ظل الدولة العثمانية ، ووسط التنافس البريطاني الفرنسي . ثم ينتقل الى ذكر سبب ورود فكرة برقة في ذهن (زانجويل) اثر اقتراح قنصل بريطانيا في تونس ، ولانها ، حسب رأيه (اي زانجويل) تفضل سائر الاماكن . حتى فلسطين ، فهي ليست بلادا مقدسة ، وعدد سكانها الاصليين اقل . ثم ما تبع ذلك من نشاط ناحوم شلوش لدراسة تاريخ يهود المغرب ، ثم عن استعداد العثمانيين (بشخص رجب باشا) حاكم طرابلس لقبول فكرة انشاء وطن قومي في برقة في الوقت الذي كانت الدولة العثمانية ترفض توطين اليهود في فلسطين . ويبدو ان زانجويل حاول